المؤتمر الدولي في معادلة الكبار

على الرغم من الصرخات المدوية بشأن «الفرصة الاخيرة للسلام» في المنطقة، التي ظلت تتردد، برتابة مملّة، طيلة العامين الماضيين، يلحظ المتابع لحركة السياسة الدولية الراهنة، ان هناك اتجاهاً عاماً لابقاء أبواب الاحتمالات مفتوحة على الشرق الاوسط، دبلوماسياً وسياسياً. وتكشف هذه الصرخات، عن شطط في تقدير ممكنات حل النزاع العربي ـ الاسرائيلي، لأنها تفترض، سلفاً، ان أي تطور هام، سواء على الصعيد الاقليمي، او الدولي، لا بد ان ينعكس، بشكل أو بآخر، على ذلك النزاع، باعتباره عقدة التشابك بين التأثيرات الاقليمية، والتأثيرات الدولية.

وليس بالغريب ان يعمد اكثر من طرف اقليمي، ودولي، الى التنبيه من الافراط في التفاؤل. وليس بالغريب، كذلك، ان يعمد اكثر من طرف اقليمي، ودولي، الى تجنّب اعطاء أي انطباع قد تستشف منه مواقف واضحة ومحدّدة بهذا الخصوص.

وبصفة عامة، يمكن ملاحظة انه في أكثر الافتراضات تفاؤلاً، فان الخروج من مأزق التمسك بالثوابت، عبر تنازلات الاطراف المتنازعة، سوف يجد تعبيره من خلال صفقة شاملة لحل أزمة الشرق الاوسط؛ وهي، بحد ذاتها، عملية تحتاج الى وقت طويل، لا ينتفي فيه امكان حصول متغيرات اقليمية، من شأنها ان تقلل من فرص الحل، وهو الاحتمال الأقرب من غيره الى الوقوع.

ويتعزز هذا الاستنتاج، بشأن مستقبل المؤتمر الدولي، او غيره من الخيارات المقبلة، في دراسة المعاني التي رافقت تطورات طرح المشكلة في أروقة الامم المتحدة، كموضوع رئيس في جدول أعمال الشرق الاوسط، وفي احداث قمة واشنطن بين الرئيس الاميركي، رونالد ريغان، والأمين العام للحزب الشيوعي السوفياتي، ميخائيل غورباتشيوف، وفي المواجهات التي بدأت بعملية «شهداء قبية» بغارة الفدائيين على قاعدة عسكرية اسرائيلية في الشمال، والقتال الدامي بين قوات الاحتلال الاسرائيلية والفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة.

«مقلب» المنظمة الدولية

القرارات التي اتخذت في أروقة الجمعية العامة للامم المتحدة، منذ نهاية تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، بصدد البحث في امكانات عقد مؤتمر دولي للسلام، كانت بمثابة «رسالة موجهة» الى قمة العملاقين في واشنطن، بأن معظم الأطراف الاقليمية تقوم باداء واجبها على أحسن ما يرام، ولكن مع بعض المشاكسة من «العاق» الاسرائيلي.

ففي تقرير قدمه السكرتير العام، بيريز دي كويلار، الى دورة الجمعية العامة للمنظمة الدولية، اشار فيه الى «ان احتمالات عقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط لا تزال غير مؤكدة، بسبب وجود الخلافات الاسرائيلية حوله». وأضاف، في تقريره، «ان السبيل الى عقد هذا المؤتمر سيظل صعباً الى ان توافق الحكومة الاسرائيلية عليه». وشدد على «ضرورة عقده، باعتباره أفضل وسيلة للتفاوض بشأن تسوية سلمية في المنطقة» (**الشرق الاوسط**، لندن، ٢١/١١/١٩٨٧).

ولّما بدا الافق المستقبلي لعقد مؤتمر دولي، بالنسبة للسكرتير العام، قاتماً، اذا ما وُضع في سياق الحكمة السائدة بشأن قواعد اللعبة التي حددتها اسرائيل، فقد عاد دي كويلار ليؤكد، مجدداً، انه يعتزم البحث عن سبيل للتفاوض يتيح عقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط. وشدّد، في كلمة له بمناسبة اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، على «ان المواقف ما زالت متباعدة فيما يتعلق بالمؤتمر الدولي، سواء على صعيد الاسلوب الاجرائي أو الجوهر». وقال دي كويلار: «ان القضية الفلسطينية ما زالت احدى المهام الجوهرية